قواعد وضوابط وفوائد ترفع الهمم

من كتاب

مرحبا يا طالب العلم

لفضيلة الشيخ الدكتور

أحمد بن عمر سالم بازمول

حفظه الله تعالى

http://ahmedbazmool-meerathnabawee.com

اللـــقـــــــــاء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

أمَّا بعد :

فقد تدارسنا بالأمس شيئًا مما يتعلق بما ورد في السنة ، مما يتعلق بطالب العلم تمهيدًا للدخول في الفوائد ، والقواعد ، والضوابط

المستخرجة من كتاب شيخنا الإمام ربيع بن هادي عمير المدخلي – حفظه الله تعالى –"مرحبًا يا طالب العلم " ، كما وقفنا على بيان ما يتعلق بهذه التسمية ، وهذه الطبعة ؛ طبعة دار الميراث النبوي ودار أضواء السلف هي الطبعة الأولى عام
ثلاث وثلاثين وأربعمائة وألف ، وقد تضمنت هذه الطبعة عدة رسائل

- الرسالة الأولى : شرف الطالب وكمال زينته بمعرفة فضل العلم وعظيم أهميته .

- الرسالة الثانية : فضل العلم والعلماء .

- الرسالة الثالثة : فضل العلم النافع .

- الرسالة الرابعة : فضل العلم وأهله .

- الرسالة الخامسة : علم الكتاب والسنة وأثره في الأمة .

- الرسالة السادسة : مرحبًا يا طالب العلم .

- الرسالة السابعة : إن الله لا يقبض العلم .

- الرسالة الثامنة : عوائق في طريق طالب العلم .

- الرسالة التاسعة : من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين .

- الرسالة العاشرة : العمل بالعلم تعليق على كلام الإمام ابن القيم في كتابه الفوائد .

- والتي تليها : العلم أفضل ما تكسبه النفوس وتحصله القلوب من كلام الإمام ابن القيم الجوزية في كتابه الفوائد

ثم مقدمة في علم الحديث ، ثم بعد ذلك أسئلة وأجوبة فيما
يتعلق بطالب العلم ودرسه ونهجه وما يتبع ذلك .
- إذًا الرسالة التي سنقف اليوم – بإذن الله تعالى – على شيء من فوائدها هي الرسالة الأولى :

-۞ رسالة شرف الطالب وكمال زينته بمعرفة فضل العلم وعظيم مكانته ۞

أقول من الفوائد من كلام شيخنا - حفظه الله تعالى - :
أن طالب العلم لابد أن يتعلم ما ورد في فضل العلم ، وعظيم مكانته

من الأدلة الشرعية ؛ وهذا من شيخنا - حفظه الله تعالى - تنبيه لطالب العلم أن يدرك حقيقة ما يعمل ، وما يفعل ؛ فهو في طلبه للعلم ليس كطلبه لأمور الدنيا ، وليس كطلبه للعلوم الدنيوية أو العلوم العقلية ؛ هو حينما يطلب العلم هو يطلب أمرًا يتعبد الله به ، كما قال ابن سيرين : (إنّ هذا العلم دين فانظروا عمّن تأخذون دينكم) ، فإذًا لابد أن يُدرك طالب العلم ما ورد في فضل هذا العلم وعظيم مكانته .

أقول وفائدة ذلك أيضًا أنه يورثه الإخلاص لله - تعالى - ، فلا يطلب العلم للدنيا ولا لمناصب الدنيا ، ولا يطلب العلم ليترئّس على الناس ويكون رئيسًا ومرجعًا للناس ، فبعض الناس قد يطلب العلم لِما يرى من أثر العلم على صاحبه حيث يُمكِّنه في الدنيا ؛ فيطلب الرئاسة ، ويطلب العلوّ في الأرض عن طريق طلب العلم وهذا لا شك أنه لم يدرك ما ورد في فضل العلم وعظيم مكانته .

وما ورد في الإخلاص فيه ، والعلم إنما يُطلب لوجه الله – عز وجل – لا لدنيا ، ولا لمنصب ، ولا لوجاهة ، ولا لغير ذلك من الأغراض الدنيّة ،

فإذًا معرفة ذلك أنه يُورث الإخلاص لله - تعالى - ، ولذلك العلم الشرعي من تعلمه وأدرك حقيقته فإنه يتواضع لله – عز وجل – ، ويتواضع لخلق الله ولا يتعالى عليهم ولا يتكبّر ، ولا يرى نفسه أحسن من غيره ، فإنّ العلم الشرعي يورث التواضع و يُورث عدم الكِبرِ ، ويُورث الخشية من الله – عز وجل – ، وإلا العلم الذي يورِث الكِبر ، والترفُّع على الناس ، ويورِث طلب المال والجاه في الدنيا ؛ فإنّ هذا وبالٌ على صاحبه ؛ لأنه لم يُخلص لله – عز وجل – ولم يُدرك فائدة هذا العلم .

وأيضًا إنّ معرفة فضل العلم وعظيم مكانته تُورث طالب العلم الجدّ والاجتهاد في طلب العلم فلا يُقصِّر بل يكون دأبُه وشأنُه وحاله الحرص على طلب العلم فلا يُضيّع وقتًا ؛ إمّا في مذاكرة ، وإما في حفظٍ وإمّا في مطالعةٍ ، وإمّا في ذِكرٍ لله – عز وجل – وإمّا في تدبُّر في آيات الله وسنن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، إلاّ ما لا بأس به من المباحات ،

فإذًا معرفة فضل العلم وعظيم مكانته تورث صاحبه وطالبه الجدّ والاجتهاد في طلب العلم .

كثيرٌ هم الذين يَلهون ويلعبون ويُضيّعون أوقاتهم في ما لا نفع فيه ، وما لا يعود عليهم بالفائدة ؛ بالضحك بالسهر ، باللعب بالكلام المباح ، فضلًا عن الكلام المكروه ، فضلًا عن الكلام المحرّم ، وأمّا طالب العلم فيُشغل وقته بذكر الله – عز وجل – وبطلب العلم وبالاشتغال بطاعته - سبحانه وتعالى - ، كذلك معرفة ما ورد في فضل العلم وعظيم مكانته تورث طالب العلم أمرًا مهمًا وهو الصبر على طلب العلم وعدم الانشغال بالملذات والملاهي والمباحات إذ الصوارفُ عن طلب العلم كثيرةٌ جدًّا ، فلا يترك هذا الخير الكثير لأمور فانية تافهة ؛ وهذا أمر مهم لأنّ طالب العلم يحتاج إلى الصبر ، فإنّ الصوارف أمامه كثيرة ؛ هذا يدعوه للسهر ، وذاك يدعوه لرحلة ، وذاك يدعوه لملاهي وملاعب ، وذاك يدعوه لجلسات فارغة وذاك يلهو وذاك يلعب ، وهو تارك لهذا كله ومشتغل بالعلم ، وطلب العلم ، والقراءة ، والنظر والبحث ، والقراءة على أهل العلم ونحو ذلك .. فهذا يحتاج إلى صبر .

فمعرفة فضل العلم وعظيم مكانته من الأمور التي تعين على الصبر في طلب العلم ، ولذلك جاء عن الثوري يخاطب تلميذه الفريابي - فقال له : " لا تغتر ! فهؤلاء ثلث - يعني ثلث - الحاضرين - ينصرفون ؛ - يعني لا يكملون طلب العلم - ؛ لأن العلم يحتاج إلى جد وإلى اجتهاد وإلى حرص عليه وإلى صبر عليه وذلك يحصل بعد معرفة فضله وعظيم مكانته ، فثلث ينصرفون ، وثلث يموتون ، وثلث يبقون لطلب العلم وقلَّ من ينجُب منهم "؛ ممكن يطلب العلم لكن لا يكون عالما ذكيًا ، تقيًا ، ورعًا .

فإذًا - بارك الله فيكم - لابد من الصبر في طلب العلم خاصة وأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد بين لنا في قوله - عليه الصلاة

والسلام - بين لنا منزلة العلم ، وأهميته وحقارة الدنيا وعدم نفعها ، حيث قال - عليه الصلاة والسلام - في الحديث الذي رواه الترمذي وابن ماجة وغيرهما من حديث أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : (الدنيا ملعونة ملعون ما فيها

إلا ذكر الله وما والاه ، أو عالمًا أو متعلمًا) (1) ؛ فبين النبي - صلى الله عليه وسلم - أن الدنيا لا خير فيها ؛ لأنها فانية ، ولأنها زائلة ، ولأنها ليست دار بقاء هي دار ابتلاء وامتحان ، ودار مرور وليست الدنيا لتُعَمَّر ، وليس أهلها بخالدين في الأرض وإنما الدنيا فانية ، إلا ما كان من باب ذكر الله وما والاه أو عالمًا أو متعلمًا .

فيا عبد الله ويا أمة الله إذا منَّ الله عليكِ بطلب العلم ، وإذا منَّ الله عليكَ بطلب العلم فاحرص على الجد والاجتهاد فيه ، واحرص أن تكون من أهله ؛ فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال كما في حديث معاوية بن أبي سفيان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : (من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين) (2) ؛ ، يفقهه بمعنى يعلمه ويفهمه الدين الذي بعث به محمدا - صلى الله عليه وسلم - ، وهذا - بارك الله فيكم -

أعني الصبر على ذلك يحصل بعد معرفة فضل العلم ، وعظيم مكانته.

([1]) حديث حسن من سنن الترمذي

([2]) إسناده صحيح متصل رواه البخاري (71) ، ومسلم (1037) .

وكذلك من أثر معرفة فضل العلم وعظيم مكانته أنه يورث طالب العلم إدراك أهمية العلم الشرعي كما سيأتينا - إن شاء الله - ؛ لأن بعض الناس قد يطلب العلم وهو لا يدرك أهمية هذا العلم إنما رأى الشباب ورأى الطلاب يتعلمون فتعلم ؛ فلم يدرك ولم يفقه ولم يفهم الغاية من هذا العلم ، ولم يفهم فضل هذا العلم ومكانته ، وسيذكر الشيخ في هذه الرسالة أعني :

رسالة شرف الطالب وكمال زينته بمعرفة فضل العلم وعظيم مكانته

إذًا هذه كلها من فائدة أن طالب العلم لابد أن يتعلم ما ورد في فضل العلم ، وعظيم مكانته من الأدلة الشرعية

ولذلك - بارك الله فيكم - لا نعجب حين نرى بعض الناس يتصارع ، ويتقاتل ، ويحارب إخوانه طلاب العلم ويؤذيهم ؛ فإن هؤلاء لم يدركوا فضل العلم ، ولم يدركوا عظيم مكانته ، ولم يطلعوا على الأدلة الشرعية الواردة في ذلك ، فإن اطلعوا فقد رأوها وهم عنها غافلون ، أو ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون .

- الفائدة الثانية :

منزلة العلم عند الله كبيرة

فهو - أي العلم - نعمة قد امتن الله بها على الأنبياء ؛ الشيخ - حفظه الله تعالى - بين لنا هذه الفائدة الثانية ، وهي أنّ " منزلة العلم عند الله كبيرة " .

فيا عبد الله إذا علمت أن العلم له منزلة كبيرة عند الله تكون من أحرص الناس على الحصول على هذا العلم ، وعلى طلب هذا العلم ، وعلى معرفة وإدراك أهمية هذا العلم ؛ فهذا العلم قد امتن الله به على الأنبياء ، و أورد الشيخ دليلا على ذلك وهو قوله - تعالى - : مخاطبًا نبينا محمدًا – صلى الله عليه وسلم - بقوله : ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾(3) ؛

فالله - عز وجل - امتن به على أنبيائه - على نبينا محمد وعلى غيره من الأنبياء ، - امتن الله - عز وجل - على

([3]) سورة النساء : [الآية : 113] .

يوسف وعلى موسى ؛ امتن عليهم بالعلم ، وامتن على نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم - كما في هذه الآية وفي يوسف قوله – عز وجل - :

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾(4) ، وفي موسى قال سبحانه :﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (5) ، إلى غير ذلك من الآيات ؛ فالله – عز وجل - يمتن بنعمته على أنبيائه ، وهذا الامتنان دليل على عظيم مكانة هذا العلم ، وعظيم منزلته عند الله - عز وجل -.

- الفائدة التي تليها :

من كلام الشيخ - حفظه الله تعالى – وهي

" أن الله قد امتن على الناس جميعًا ، وفي طليعتهم العرب الأميين بإرسال نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم - ليخرجهم من الظلمات إلى النور بالعلم ، والوحي "

- كيف أخرجهم ؟

- بماذا أخرجهم ؟

الجواب : بما أوحاه الله إليه وبما علمه ، فإن الله - عز وجل – قال :

﴿ الر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (6) ، إلى غير ذلك من الآيات ؛ فالله - عز وجل - امتن أيضا على الناس وفي طليعتهم العرب الأميين بإخراجهم من الظلمات إلى النور ببعثة نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – وذلك بالعلم والوحي ، ولذلك قال الله – عزوجل – : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن

---

(4) سورة يوسف : [الآية : 22] .
(5) سورة القصص [الآية : 14] .
(6) سورة إبراهيم [الآية : 1] .

كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ 7وقال - عز شأنه - : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّـهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ 8

إلى غير ذلك من الآيات التي امتن الله - عز وجل – فيها على الناس بالعلم الشرعي الموحى إلى نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم -

- الفائدة الرابعة :

أن الله – عز وجل - أشاد بالعلماء وكذلك رسولُه - صلى الله عليه وسلم - أشاد بالعلماء .

ومعنى أشاد : أي بيّن عظيم فضلهم ، وجميل أثرهم ومكانتهم ، وجعلهم ممن لهم مكانة وفضل ، فأشاد الله ورسولُه - صلى الله

عليه وسلم – بالعلماء ، فمن ذلك قوله - تعالى - : ﴿ شَهِدَ اللَّـهُ أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(9 ؛ فالله – عزوجل - شهد لنفسه بأنه الإله المستحق للعبادة ، والمتفرد بالخلق والإيجاد ، وأنه له الأسماء الحسنى والصفات العلى ، فشهد الله أنه لا إله إلا هو ، وأيضًا ذكر الله أن الملائكة شهدوا بذلك فقال :

﴿ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ ؛ أي شهد الملائكة أنه لا إله إلا الله ، وأيضًا ﴿ وَأُولُو الْعِلْمِ ﴾ أي العلماء أي وشهد العلماء أنه لا إله إلا هو ﴿ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ؛ ففي هذه الآية استشهاد الله - سبحانه وتعالى - بالعلماء على توحيده ، وتوحيده هو أعظم موضوع وأخطر موضوع وتوحيده لأجله خلق الله الخلق ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (10؛ أي إلا ليوحدون .

فإذًا استشهد الله - سبحانه وتعالى - بشهادة العلماء على توحيده ، فبين بهذا فضل العلماء وعظيم مكانتهم ، ليس هذا فحسب بل قرن الله - سبحانه وتعالى - بين شهادة العلماء مع شهادته - سبحانه وتعالى - وهي منزلة

---

(7) سورة الجمعة [الآية 2] .
(8) سورة آل عمران [الآية : 145] .
(9) سورة آل عمران [الآية : 18] .
(10) سورة الذاريات [الآية : 56] .

عظيمة جدًّا لأولي العلم فشهد الله وأولو العلم ، وأيضًا قرن الله - عزوجل - شهادة العلماء بشهادة الملائكة فقال والملائكة وأولو العلم كلهم شهدوا ؛ فهذا دليل على فضل العلماء وعلى عظيم مكانتهم ورفيع درجتهم ؛ كيف لا وقد أشهدهم الله - تعالى - ، وقد اعتبر الله – عز وجل – شهادتهم على توحيده مع شهادة الملائكة ، وشهادتِه هو بنفسه – سبحانه وتعالى – عز شأنه ، وتعالى جده ، وتقدست أسماؤه – سبحانه وتعالى - .

- الفائدة التي تليها :

ما المراد بالعلماء ؟

بين شيخُنا الإمام ربيع المدخلي – حفظه الله تعالى – أن المراد بالعلماء الذين أثنى عليهم الله ورسوله هم : العلماء بالوحي والتوحيد الذي جاء به نبينا الكريم – صلى الله عليه وسلم – علمًا وعملًا ، وأما من كان بخلاف ذلك فلا يدخل في هذه الأدلة الشرعية .

فهذه فائدة عظيمة ، لابد من معرفتها ، وعدم الخلط فيها ؛ فإن بعض الناس يظن أن كل من تصدر للناس هو عالم ، وكُلّ من تكلم على المنابر هو عالم ، وأن كل من أفتى أو قضى أو جلس مجلس العلم هو عالم يدخل في هذه الأدلة الشرعية ، وفي تلك النصوص الواردة في فضل العلم والعلماء ، ولا شك أن هذا ليس بصواب ، فشيخنا – حفظه الله تعالى - ، بين أن من لم يعمل بعلمه فإنه وبالٌ عليه .

- لمـــــــــاذا ؟

الجواب : لأن العلم صار حجة عليه ، أنت تعلم ولم تعمل بما تعلم فقد قامت عليك الحجة ، وقد شابهت في ذلك اليهود الذين غضب الله عليهم ؛ لأنهم علموا وعملوا بخلاف ما علموا ، وكتموا الحق الذي أنزله الله ، وحرفوه عن مواضعه ، فغضب الله عليهم .

ولذلك من فسد من علمائنا أشبه اليهود ، ومن فسد من عُبادنا أشبه النصارى ، كما قال الثوري ، وغيرُه من السلف ذلك .

- الفائدة الأخرى :

أن علماء البدع ، والضلال لا يدخلون في مسمى العلماء ؛ لأن العلماء الذين أشاد الله بهم هم العلماء بالوحي ، هم العلماء بما بعث الله به رسوله .

كيف لا ؟! ؛ والرسول – صلى الله عليه وسلم – يقول : (العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر)[34]

فبين الشيخ – حفظه الله تعالى – ، أن علماء البدع ، والضلال لا يدخلون في النصوص الواردة في فضل العلم ، وفضل العلماء .

كذلك ما نستفيده من كلام الشيخ ، أن الجهال ، والمتعالمين ليسوا بعلماء ، وإن اتخذهم الناس رؤوسا ، ولكن حالهم كما جاء عن النبي - صلى الله عليه وسلم - حيث قال : (إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الرجال ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا مات العلماء اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسُئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا ، وأضلوا)[35] فهؤلاء ليسوا من العلماء ، ولا يدخلون في فضل العلم ، والعلماء ، ولا العُباد ، ولا الزهاد ؛ فإن هؤلاء العُباد ، والزهاد عبادتهم ، وزهدهم لا تجعلهم علماء ، إنما العلم بالتعلم ، وإنما العلم ما كان متلقًا من الكتاب ، والسنة ، وفهم سلف الأمة ، وأيضا الصوفية ليسوا بعلماء ، ولا العلماء المشتغلون بعلوم الدنيا كالطب ، والفيزياء ، والرياضيات ، وغير ذلك ، ليسوا هم المقصودين بهذه الآيات ، وبتلك الأحاديث ؛ إنما المقصود بذلك هم العلماء بالوحي ، والتوحيد الذي جاء به نبينا الكريم - صلى الله عليه وسلم - علمًا ، وعملًا ، وأما من كان بخلاف ذلك فلا يدخل في هذه الأدلة الشرعية .

---

(34) من سلك طريقًا يطلبُ فيه علمًا ، سلك اللهُ به طريقًا من طرقِ الجنةِ ، وإنَّ الملائكةَ لتضعُ أجنحتَها رضًا لطالبِ العِلمِ ، وإنَّ العالِمَ ليستغفرُ له من في السماواتِ ومن في الأرضِ ، والحيتانُ في جوفِ الماءِ ، وإنَّ فضلَ العالِمِ على العابدِ كفضلِ القمرِ ليلةَ البدرِ على سائرِ الكواكبِ ، وإنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ ، وإنَّ الأنبياءَ لم يُورِّثُوا دينارًا ولا درهمًا ، ورَّثُوا العِلمَ فمن أخذَه أخذ بحظٍّ وافرٍ
الراوي : أبو الدرداء | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح أبي داود
الصفحة أو الرقم: 3641 | خلاصة حكم المحدث : صحيح

(35) إنَّ اللَّهَ لا يقبِضُ العِلمَ انتزاعًا ينتزِعُهُ من صُدورِ الرِّجالِ ، ولكن يقبِضُ العِلمَ بقبضِ العلماءِ ، فإذا لم يَبْقَ عالِمٌ اتَّخذَ النَّاسُ رؤُساءَ جُهَّالًا فَسُئلوا فأفتَوا بغيرِ عِلمٍ فضَلُّوا وأضَلُّوا
الراوي : - | المحدث : الألباني | المصدر : صفة الفتوى
الصفحة أو الرقم: 7 | خلاصة حكم المحدث : صحيح

والعلم المُثْنى عليه هو العلم الشرعي ، العلم الذي يقربنا من الله ؛ هو العلم الشرعي .

قال عروة : " السنَنَ السنَن - أي تعلموا السنن -؛ فإن السنن اتباع قوام الدين .

وقال سفيان الثوري : " إنما العلم كله ؛ العلم بالآثار " .

وقال عبد الله بن داود : " ليس الدين بالكلام ؛ إنما الدين بالآثار "

وقال الشافعي - رحمه الله تعالى - : " جهة العلم ما نص في الكتاب ، أو السنة ، أو في الإجماع ، فإن لم يوجد في ذلك ، فالقياس على هذه الأصول ما كان في معناها " .

وقال أبو حاتمٍ الرازي : " العلم عندنا ما كان عن الله – تعالى - من كتاب ناطق ، وناسخ غيرَ منسوخ ، وما صحت به الأخبار عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مما لا معارض له ، وما جاء عن الألبَّاء من الصحابة ، ما اتفقوا عليه ؛ فإذا اختلفوا لم يُخرَج من اختلافهم ، فإذا خفي ذلك ، ولم يُفهم فعن التابعين ، فإذا لم يوجد عن التابعين فعن أئمة الهدى من أتباعهم " ، إلى غير ذلك من كلام العلماء الذين بينوا :

ما هو العلم الشرعي المطلوب .

وبينوا ما هو العلم النافع لصاحبه .

والسؤال الآن ما هو المقصود بالعلم ؟

فالجواب : أن تعلم يا عبد الله أن المقصود بالعلم أن تعبد الله على بصيرة ، وأن تحصل لك الخشية ، والخوف من الله ، وأن تتبع ما كان عليه النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه ؛ وليس المراد من العلم تكثير المعلومات ، ولا التفاخر به ، فليس العلم مقصودا لذاته ، بل هو وسيلة للقرب من الله - تعالى - ، قال ابن مسعود – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – : " ليس العلمُ بكثرة الرواية ، ولكن العلم خشية الله " ومعنى قول ابن مسعود فيما فسره الحافظ أحمد بن صالح المصري ؛ قال : " معناه أن الخشية لا تُدرك بكثرة الرواية ؛ وإنما العلم الذي فرض الله – عز وجل – أن يتبع فإنما هو الكتاب والسنة ، وما جاء عن الصحابة – رضي الله عنهم – ومن بعدهم من أئمة

المسلمين ، فهذا لا يُدرك إلا بالرواية " ، فلذلك قال الثوري – رحمه الله تعالى - : " إنما يُطلب الحديث ليُتقى الله به فلذلك فُضِّل على غيره من العلوم ، ولولا ذلك كان كسائر الأشياء " ، إلى غير ذلك من أقوال أهل العلم المبينة للمقصود من طلب العلم .

لذلك إخواني أُذكر نفسي ، وأُذكركم بأن لا نقع فريسة للشيطان ، ولا فريسة لهوانا ، فإن بعض الناس يتخذ من العلم سلاحا يفتك به في الناس ويطغى به على الناس ، ويتكبر به على الناس ، ويستعلي به على الناس ، ولا شك أن هذا ينافي العلم الشرعي ؛ فإن العلم يُورث الخشية ، يُورث التقوى ، يُورث التواضع ، والذل لله – عز وجل – وأما الذي يترفع ويطغى ؛ فإنه لم يُحصل فائدة العلم .

-الفائدة التي تليها :

بين شيخنا – حفظه الله تعالى - : أن السنة النبوية وحي من الله وهي مبينة لما في القرآن كما قال الله – عز وجل - : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾([13] ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ﴾ خطابا لنبينا محمد – صلى الله عليه وسلم - ، ﴿ الذِّكْرَ ﴾ ؛ أي القرآن ، ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ ؛ فالنبي – صلى الله عليه وسلم – بين لهم مراد الله في كتابه ، وهذه الآية فيها رد على الجماعة المعروفين بالقرآنيين ، ورد على أهل البدع الذين يقولون : نحن نكتفي بالقرآن .

فالقرآن بين لنا أن سنة نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – مبينة ومفسرة وشارحة لكتاب الله – عز وجل – فهذه فائدة مهمة ؛ أن نعلم مكانة السنة ، و قد بين الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - ، وغيره من أهل العلم ، بيَّنوا مكانة السنة من القرآن ، فبادئ ذي بدء السنة وحي ، قال الله - عز وجل - : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿3﴾ إِنْ ﴿هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴿4﴾([14] فالسنة وحي من الله - عز وجل - ، والسنة مع القرآن كما قال الشافعي ، وغيره من أهل العلم لها ثلاثة مراتب :

([13]) سورة النحل [الآية : 44] .
([14]) سورة النجم [الآية :3-4] .

- المرتبة الأولى :

أن تكون السنة موافقة لما في القرآن ؛ فالله أمر بالصلاة : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾[15] فتأتي السنة بالأمر بالصلاة ، وإيتاء الزكاة ؛ فهنا وافقت السنة ما في القرآن .

- المرتبة الثانية :

أن تكون السنة شارحة ، ومبينة ، ومفسرة لما في القرآن ؛ فالقرآن أمرنا بالصلاة ، وأمرنا بالزكاة ، وأمرنا بالصيام ، وأمرنا بالحج ، وأمرنا بأحكام عديدة ، ولكن على سبيل الإجمال في كثير منها ، وجاء بعض تفصيلها في القرآن ، ولكن تفاصيلها ، وشروطها ، وأركانها ، وواجباتها ، ومستحباتها ، وممنوعاتها ، ومباحاتها فُهمت من السنة ، وأُخذت من السنة فكانت السنة شارحة ، ومبينة للقرآن ،كما قال الله – تعالى - في الآية السابقة : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ .

- المرتبة الثالثة :

أن تكون السنة زائدة على ما في القرآن فالله - عز وجل - ذكر لنا المحرمات من النساء ؛ فلا ينكح الرجل ابنته ، ولا أمه ، ولا جدته ، ولا أخته ، ولا ابنة أخته ، ولا ابنة أخيه ، ولا عمته ، ولا خالته ، ولا أم زوجته ، ولا الربائب ، إلى آخره من المحرمات المذكورة في قوله - عز وجل - : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾[16]، إلى آخـــــره .

- لكن ما حكم أن يتزوج الرجل المرأة ، وعمتها ؟

- أو المرأة ، وخالتها ؟

فيكونان تحته في وقت واحد ؛ يعني كلاهما زوج له ، في القرآن لا يوجد بيان لهذا الحكم ، ولكن في السنة موجود ؛ فقد نهى النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يجمع الرجل بين المرأة وعمتها ، أو المرأة وخالتها ؛ فإذا

([15]) سورة البقرة [الآية : 110] .

([16]) سورة النساء [الآية : 23] .

هذا حكم زائد على ما في القرآن ، وحكمه كالقرآن من جهة العمل ، ووجوب الإيمان ، ووجوب اليقين به ، والعلم به ، قال - صلى الله عليه وسلم - : (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه)([40] وهي السنة .

- ثم ذكر الشيخ – حفظه الله تعالى –

من الفوائد :

أن العلم له أثر على صاحبه ؛ فيورثه الخوف من الله ، و يرجو رحمة الله ، ويورثه العمل بشرعه ، وعدم مخالفته ، نعم العلم يورث العمل يورث الخوف من الله ، يورث أن يرجوَ العبد رحمة الله ، وأن يعمل العبد بما أمره الله ، وإلا فإن العلم الذي لا يورث هذه الأمور يكون وبَالًا على صاحبه ، ولذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - عَلَّمَنا أن نسأل الله العلم النافع ؛ فإن العلم النافع : هو الذي يكون على ما كان في الكتاب ، والسنة ، وسلف الأمة ، وكان معمولا به وسيأتي - إن شاء الله - ما يتعلق بالعمل بالعلم ، ولكن الذي يهمني الآن التأكيد على هذه القضية التي نبه إليها الشيخ ، أؤكد لنفسي ، أؤكد لإخواني طلاب العلم ، أؤكد لهم أن نتقي الله في الشباب ، وأن نتقي الله في أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - .

- أيضا من الفوائد التي ذكرها الشيخ - حفظه الله تعالى - :

أنه فرق كبير بين من يعلم ، وبين من لا يعلم ، فرق كبير بين من يعلم ؛ فيُسأل ، ويُرجع إليه ، ويُستفاد منه ، وبين من لا يعلم ، قال الله – عز وجل - : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾([42]

وقال - عز شأنه - : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ﴾ ([19] إلى غير ذلك من الآيات المبينة للفرق بين من يعلم ، وبين من لا يعلم - بارك الله فيكم - .

---

(40) الراوي : المقدام بن معد يكرب الكندي | المحدث : الألباني | المصدر : تخريج مشكاة المصابيح - الصفحة أو الرقم: 162 | خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح .

(42) سورة الزمر [الآية : 9] .

([19]) سورة الرعد [الآية : 19]

- الفائدة الأخيرة :

التي أريد أن أختم بها هذا اللقاء في هذه الليلة أن الشيخ - حفظه الله تعالى - بين أن أهل العلم هم أهل البصيرة ، وأهل الجهل كالعُميان والصم البكم ، فأهل العلم هم أهل البصيرة ؛ لأنهم يمشون على نور ويهتدون بالنور ؛ بالعلم المُتَلَقَّى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - .

وأما أهل الجهل ؛ فهم كالعميان لا يبصر الطريق ، وكالصم البكم مهما دَلَلْته على الطريق لا ينتفع .

ومن فوائد هذا أن فيه تحفيزا ، وتشجيعا لكل مسلم ، أن يتعلم أمور دينه حتى لا يكون أعمى في هذه الحياة ، وحتى يكون ممن يسير على بصيرة ، وعلى هدى ، وحتى لا يضل عن الطريق ، وحتى تحصل له النجاة - بإذن الله تعالى - من الهلاك ، ومن سبل الردى ، ومن طريق الضالين ؛ الذين عبدوا الله على جهالة وعلى عَماية ؛ فلم يوصلهم ذلك إلى الله ؛ بل كان ذلك وبَالًا عليهم ولذلك : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿1﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿2﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿3﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿4﴾([20] عملت ، وتعبت ، ونصبت ، ولكن في الآخرة تصلى نارا حامية .

- لمـــــــــاذا ؟

الجواب : لأنهم ليسوا على بصيرة ، وليسوا على نور ، وهدى من الله ؛ بل هم كالعميان ، وكالصم البكم لا يهتدون سبيلًا ، ولا يعرفون طريقًا ، فنسأل الله - عز وجل - أن يُبصرنا في ديننا ، وأن ييسر لنا الأمور ، وأن يبعدنا عن الجهل ، وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

([20]) سورة الغاشية [الآيات : 1- 2 - 3- 4] .